كل شيء غريب

الكتاب: كل شيء غريب
قصص
المؤلف: عادل رافع الهاشمي
عدد الصفحات: 88

الطبعة: الأولى 2019
الناشر: دار النخبة 6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل
أمام سور نادى الزمالك – 01288688875
E-mail: alnokhoba@gmail.com

كل شيء غريب

قصص

عادل رافع الهاشمي

النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع
2019

انتهى الزمن الذي كان فيه أهلنا يخافون علينا في الغربة..
وأصبحنا نحن في غربتنا نخاف عليهم في الوطن.

فيودور دوستويفسكي

الاهداء

إلى كل الغرباء في هذا العالم الفسيح

ما لي وقصص الحبِ الوهمية

فلن أحب...

إلا من

سأرتدي لهَ الثوبَ الأبيض

من يلبسني ثوب الفرح؟

كم هو قاسٍ هذا الزمان... ما لهذه الغيوم لا تنقشع...طال غياب الشمس وافتقدت نور القمر... المسافة بيني وبين امنياتي ثملة لا تصحو... ضاعت ايامي مع أمواج النهر الجاري... كل مساء تزهر احلامي وتتكاثر لاجدها في الصباح هاربة مهاجرة كهجرة الطيور البرية... من ذا يزيل غبار العتمة من طريقي؟.. من يلبسني ثوب الفرح الذي طال اشتياقي له؟.. من يحسسني بالصباحات المشرقة؟.. من يسمعني مناجاة الليل واشجان الحنين؟.. انا لن استسلم.... ساشق طريقي الى احلامي وامنياتي.. ساقف لك بالمرصاد وساوقضك من سباتك.. ما بك يا رجل؟ اصح وانظر الي؟..افتح عينيك وتفحصني؟.. انا كل أحلامك.... كما انت كل احلامي.. تلك هي الحقيقة ولا حقيقة غيرها.

كم من الوقت علي ان انتظر؟...هل انتظر الدهر كله؟... صديقاتي تزوجن... وانا اضيع فرصي، واحـدة تلو الاخـرى.. ما جدوى إنتظارك؟؟... لم أرَ بادرة واحدة منك.. ارسلت لك الرسائل ولم اتلق رداً... ابتسم لك كلما نمر ببعض، لكنك لم تعر ذلك أدنى إهتمام... اشتريت لك هدية بمناسبة ترفيعك الوظيفي، وانت سادر في غيك...

ماذا علي ان أعمل لأجلب إنتباهك؟...انت نصيبي وفرصتي..انت فارس احلامي... هل استوقفك في ساحة المدرسة واصرخ اني احبك؟ هل ارسل لك امي تطلب منك ان تتقدم لخطبتي؟... قل لي ماذا اعمل؟

كنا نعمل معا في مدرسة ثانوية واحدة، هو مدرس لمادة الفيزياء وانا مدرسة لمادة الأحياء، يقضي وسام كل يَوْمَه في التدريس ومتابعة طلبته... حتى بعد الدوام الرسمي يعطي دروساً خصوصية للطلبة. في فترات الاستراحة بين الدروس يشغل نفسه بمراجعة محاضراته. للمدرسين غرفتهم الخاصة بهم، يجلسون بها خلال الاستراحة بين المحاضرات، للمدرسات غرفتهن الخاصة ايضا، الفرصة الزمنية الثالثة بين الدروس تكون أطول من سواها من الفرص، يستغلها المدرسون كالعادة في شرب الشاي وتناول البسكويت و(الكليجة) والمعجنات الاخرى... خلال هذه الفرصة يحدث بعض التواصل بين المدرسين والمدرسات بقصد أو دونما قصد.

كل محاولاتي للتقرب منه أو لفت انتباهه باءت بالفشل... عندما اتعمد المرور قربه والسلام عليه يخفض نظره، يشيح بوجهه ويمر مسرعاً، ليحول دون ايما فرصة لحديث معه. منذ يومين رزق اخي بمولود، هو مدرس فيزياء في مدرسة اخرى، حرصت على انتهازها فرصة للتقرب من وسام وتعريفه بعائلتي. بذلت كل وقتي مساءً في

عمل كيكة (تورته) بالمناسبة... اخذتها معي صباح الْيَوْمَ التالي الى المدرسة، عند الفرصة الثالثة، وضعت عدداً من قطع الكيك في صينيتين، وطلبت من زميلاتي المدرسات مساعدتي في توزيعها على زملاءنا المدرسين مع الشاي، حرصت كل الحرص على وضع قطعة خاصة مع كوب شاي في صينية صغيرة حملتها بنفسي وقدمتها لوسام، كانت تلك ميزة خصصته بها عن بقية المدرسين، غير انه ارتبك واحمر وجهه وهو يعتذر قائلا انه سيأكل من الصينية الكبيرة مع بقية المدرسين. ذهبت خططي أدراج الرياح، لكن ذلك زادني اصراراً على محاصرته والظفر به... لا خيار لي غير ذلك، علي ان أكون خياره الوحيد.

أصبحت قصتنا معروفة لكل الزملاء، فزميلاتي بدأن يطلن النظر إليَّ، ويتغامزن مع بعض، اما وسام فأخذ يتحاشى النظر باتجاهي أو الالتقاء بي.

في يوم شتوي بارد، قرع الجرس لانتهاء الدرس الأخير، وبينما الطلبة يسرعون للخروج من المدرسة، يتأبطون حقائبهم، لمحت وساماً يسير مسرعا هو الآخر باتجاه الخروج، يحمل كتاباً في يده، ويرتدي بدلة غامقة أنيقة، كان يسير مسرعاً، اسرعت خلفه، فلحقت به في الممر الذي يخترق حديقة المدرسة باتجاه باب خروج المدرسين.

– استاذ وسام! من فضلك.

– تفضلي

كان انيقا ووسيما. يضوع منه عطر مميز غمر المسافة التي تفصلني عنه وسرى في ارجاء الحديقة، كنت اعرف انه يحبني، لدي احساس بذلك

- إستاذ.....

- أرجوكِ ست محاسن، أنا مستعجل...تفضلي ماهو المطلوب؟

- عفواً أستاذ.....

اختفى كل شيء من ذهني، خيول الهزيمة عادت خائبة، السراب خيم أمام عيني، الحرارة تسربت الى وَجنَتَي، الوهن والخَدَر حلا بركبتيَّ.

- تفضلي يا ست ماذا جرى لك!!

- اااانا معجبة بك استاذ...أنا احبك!!

- نعم!!

نظر الى ما حوله مذهولاً واشاح بوجهه عني، ثم هرب بعيداً... أسرع بخطواته الى خارج المدرسة، اختفى دون ان ينظر الى الخلف، تركني في حيرة وخذلان... اجتاحتني مشاعر الهزيمة والخيبة... بقيت مسمرّة في مكاني مشدوهة زمنا لا اعرفه... فقدت الشعور بما حولي... فقدت الإحساس بكل شيء. ولما عاد اليَّ وعيي، نظرت الى ما حولي... مرَّ عدد من الأساتذة والحيرة ترتسم على وجوههم.

لم أنم ليلتها، انتابني شعور بالإحباط والهزيمة، بكيتُ حتى جفت دموعي وذبلت عيوني، هذا العالم غير منصف، ظالم، يستكثر عليَّ لحظات من السعادة، هذا المجتمع ينكر حقي في الحب... في العيش مع من أُحب... هل يخذلني نصيبي؟ هل استسلم لهذا العناد؟ هل من سبيل الى وسام؟ لن ادعك تهرب مني ولن أستسلم أبدا.

في الْيَوْمَ التالي كان جميع المدرسين والمدرسات ينظرون اليَّ نظرات غريبة، بعضهم ينظر إليَّ بإشمئزاز، والبعض الآخر ينظر لي بحزنٍ وأسى.

في يومٍ كئيب، كنتُ حينها أُعنف إحدى الطالبات لأنها لم تذاكر الدرس.

– لماذا لم تذاكري درسك؟ ها؟ ماذا يشغل فكرك؟

فعلقت احدى الطالبات:

– ست إنها مغرمة

عم الضحك جميع الطالبات، أحسستُ انهن يقصدنني، لا يقصدن الطالبة، صمت للحظات وخرجت تاركةً الصف، كنتُ أسمع ضحكات الطالبات وقهقهاتهن، ماذا جرى لي؟ ما هذا الذل؟ أين كرامتي؟ غمرني الحزن والإكتئاب، وأظلمت الدنيا بعيني.

جلست في غرفة المدرسات وحيدة، اجتر أحزاني، أكظم غيضي، غير اني لم استطع، فخرجت مسرعة من فرط عصبيتي وغضبي. لمحت

وسام في غرفة المدرسين. كان وحيداً، فاندفعت تجاهه ودخلت الغرفة، نهض والمفاجأة ترتسم على وجهه.

- أرجوك هذه غرفة للمدرسين

- لن اخرج من هنا قبل ان تسمعني

- احذري ان يرانا أحد!

- أنصت إلي، ماذا تعتقد نفسك؟ أنت إنسانٌ معقد، ضعيف ! انت لا تستحق حبي لك؟ انت لا تصلح للحب أصلا! هل تعتقد أنني متيمة بك؟!

كان صوتي يرتفع تدريجيا والشرر يتطاير من عينَي ووسام ينظر لي بدهشة وذهول.

- اذهب انت ودروسك وكرامتك الى الجحيم فانت لا تعني شيئاً في نظري

استدرت الى الخلف لأخرج من الغرفة، فاذا عدد كبير من المدرسين والمدرسات متجمعين على باب الغرفة ونافذتها وعلى وجوههم الذهول والدهشة.

عدت الى البيت وانا في حال يرثى له، دخلت غرفتي وأقفلت الباب علي، بكيت حتى تورمت عيناي، اختنقت أنفاسي وجفت

دموعي، لكنني أحسست بالراحة وكأن حملا ثقيلا انزاح من على كاهلي. نمت نوما عميقا، لم اكن اعرف كم نمت، سمعت قرعا على باب الغرفة، استيقظت ونهضت بتثاقل، فتحت الباب فاذا امي تستقبلني بالحضن وتقبلني.

– (خذي دوشا) بسرعة وارتدي اجمل ملابسك لدينا في الصالون ضيوفٌ، استاذ وسام ووالدته تقدموا لخطبتك!!

وينامُ هذا البحرُ أبيض،

لم يدانيهِ دمُ الغرقى،

مضوا للقاعِ،

يصطحبون أوجاعاً وأحزاناً،

جراحاتٍ،

أبت أن تحتملها في الرحيلِ

مرافئٌ، ورواسيا

شكيب أبو سعدة

عبور البحر

عندما وصلت السويد أواخر عام 2016 كنت مرهقاً ومتعبا لكني كنت متلهفاً للقاء أخي الذي لم أكن قد رأيته منذ عامين. كان اللقاء مؤلماً وحزيناً لأننا استذكرنا والدي الذي توفي قبل عام من لقاءنا بعد خروجه من السجن بأقل من شهر، لم نكن قد رأيناه لمدة ثلاثة أعوام آنذاك ولم نكن قادرين حتى على حضور جنازته.

عندما كنت طفلاً صغيرا كنت أحلم بأن أصبح بطلاً رياضيا وشابا مفتول العضلات. أعتقد أن شخصيتنا تتشكل وتصقل من خلال والدينا اللذين نعيش في كنفهما والناس الذين نقابلهم ونتعامل معهم، ومن خلال الظروف التي تمر بنا سواءً تلك التي تحكم سيطرتها علينا أم التي نقهرها لنملك زمام أمورنا بعد ذلك. أمي وأبي كانا مهمين جداً لي خلال حياتي كلها. أتفهم الصعوبات والظروف السيئة التي مرا بها وكم هي التضحيات التي قدماها لكي يوفرا لنا، نحن ابنائهم، فرصاً وخيارات احسن بعد ان عجزا عن تحقيقها هما في حياتهما. مدينتي ووطني أيضا كان لهما الفضل في تعليمي وتكوين شخصيتي، غير ان إنتمائي للوطن الذي عشت فيه وترعرعت في ربوعه تبعثر وذهب مع الريح.

كنت قد أنهيت عامين في الجامعة في دراسة البرمجيات وتكنلوجيا المعلومات، في جامعة حمص، عندما بدأت الحرب الاهلية السورية وتوقفت الدراسة، بعد ذلك درست الكثير من البرمجيات وتصاميم الألعاب في المنزل. أمضيت الساعات الطويلة في الدراسة من أجل تطوير مهاراتي.

كنت أنتظر إنتهاء الحرب لمتابعة الدراسة لعامين آخرين في الجامعة من أجل الحصول على شهادة البكالوريوس في البرمجيات، لكن الحرب أنهت كل احلامي وخططي وبعثرتها ريح صفراء عمت ارجاء بلادي. تم استدعائي للخدمة العسكرية قبل ان اكمل تعليمي الجامعي. واعتباراً من تلك اللحظة، أصبحت الحياة خطرة بالنسبة لي. كان يغمرني القلق بسبب الحواجز الأمنية في الشوارع والمظاهر العسكرية التي تملأ الحارات والمدارس والجامعات،كانت الطائرات الحربية تحلق في السماء ليل نهار، اصواتها تكاد تصم اذنَي. كان الرعب يلازمني حتى في منامي.

ماذا عليك ان تعمل وانت في مقتبل الحياة كطالب جامعي وقد توقفت دراستك لأربع سنوات متتالية بسبب قصف جامعتك مرة من قبل الحكومة، اخرى من قبل المعارضة المسلحة او التنظيمات الارهابية المختلفة، هل تتخيل ذلك !!.... أن تضطر إلى مغادرة بلدك للبحث عن مكان آمن وارض تقبل ان تحتضنك وتدعك تعيش عليها دون موت أو دمار.

غادرت مدينتي وهجرت وطني مضطراً، غادرت بكرامتي. كان رأسي مرفوعاً دائماً وكنت مقتنعاً أني لا أقل قيمة عن الآخرين. اللاجئ هو ناجٍ وليس جباناً أومتخاذلاً او عبءً على المجتمع.

ذهبت إلى تركيا وعبرت البحر إلى اليونان، عبور بحر إيجة كان أسوء واخطر مراحل الرحلة، رأيت الخوف والهلع في عيون النساء والأطفال، لكننا نجحنا. عندما وضعت قدمي على اليابسة كان ذلك أفضل ما توقعته من المخاطرة بالحياة، انه الولادة الجديدة، ولادة بعد مخاض، وأي مخاض ذلك الذي يأتي بعد عملية قيصرية.

أخرجوا أبي من السجن بعد ان تأكدوا ان أيامه الباقية اصبحت قليلة، وبعد ان اقتنع هو ان الوطن الذي افنى حياته في خدمته خيب أحلامه وآماله ليطمرها معه تحت التراب. اختطف في يوم شتوي بارد. انتظرنا عودته حتى الفجر لكنه لم يعد، ولم نجد له اثراً. تأخر يومها من العودة الى البيت، عادة ما ياتي بعد صلاة المغرب مباشرةً من العمل، فالظروف الامنية في المدينة سيئة والتأخر خارج البيت بعد مغيب الشمس غير مأمون العواقب. لم يكن المحل بعيداً عن دارنا، فقد كان في السوق القريب، ذهبنا اليه لمعرفة السبب فوجدنا الدكان مفتوحا لكن ابي غير موجود فيه، تبخر في ذلك اليوم كما تبخر الكثير من بلادنا، وجدنا كل شئ في مكانه، لم تلمس او تفقد حاجة من الدكان سوى ابي. خطف أبي كما خطف الكثيرون ولم نعرف الفاعل فهم يومئذ كثيرون.

المراحل الأخرى للهروب كانت صعبة أيضاً، كالانتظار والوقوف في الطابور والنوم على الأرض في اليونان والنمسا. في تلك اللحظات كنت أفكر أنني يجب أن أصبر على المعاناة والتعب والقلق وان الصبر يجب ان يكون سلاحي الدائم في الحياة.

اخترت السويد لأن أخي كان هنا قبلي. أردنا أن نلم شملنا بعد ان فرقتنا الحرب. لكن كانت هناك أسباب إضافية وراء اختياري لهذا البلد، فالسويد هي أحد أكثر البلدان تطوراً في العالم وهي الأكثر سطوعاً في عالم تكنولوجيا المعلومات،وهو العالم الذي كنت احلم به وأريد أن أكون جزءاً منه.

رغم الالم والحزن والذكريات الأليمة فقد فرحنا انا واخي واستمتعنا باللقاء. اخيرا اصبحت فرصتي بالعيش بمكان امن ودراسة التخصص الذي احبه ممكنة، نمت وانا احلم، انني مع اخي سنعيش معا ونعمل على ترتيب وضعنا لكي نستطيع في النهاية ان نلم شملنا هنا في هذا البلد ونجلب والدتي واختي الصغرى الطالبة في الثانوية التي تعطلت مدرستها هي الاخرى في حمص.

بقيت اسبوعاً كاملاً وانا اعيش مع اخي في شقته، نأكل ونشرب ونتسوق ونسير في الشوارع والاسواق التجارية. كنت سعيدا بلقاء اخي وبالحياة الجديدة التي سأعيشها هنا، غير ان اخي اوضح لي أن الحياة صعبة هنا، تحتاج الى جهدٍ وعملٍ متواصل، لكي نستطيع توفير مستلزمات العيش.

في نهاية اليوم السابع جلسنا نشرب القهوة في الصالون عندما قال لي اخي انه يجب عليَ البحث عن سكن مناسب وملائم لي في المدينة التي تحددها دائرة الهجرة، وعلي ترك شقته في الصباح لان صديقته تعود غدا،واعتذر لي قائلا بأنه لا يستطيع ان يدعني اسكن معه لان صديقته لا ترغب بذلك.

أعيش الآن في مركز لطالبي اللجوء في احدى المدن السويدية. أشعر وكأني سجين في المركز، كما أني قلق حول مستقبلي. أشتاق الى حمص واشتاق لوالدتي، للشارع الذي نشأت فيه، لأصدقاء طفولتي وزملائي، أشتاق لحديقة منزلنا ولأشجار الزيتون التي كنت أمضي الصيف تحت ظلها.

ذهب العمرُ هباء، فاذهبي　　لـم يكن وعــدُك إلا شبحا

صفحةٌ قد ذهب الدهرُ بها　　أثـبـت الـحـب عليها ومحا

انظري ضِحكي ورقصي فرحا　　وأنـــا أحــمـل قـلـبـاً ذُبِـحَــا

ويراني النّاسُ روحًا طائراً　　والجوى يطحنني طحن الرحى

إبراهيم ناجي

لقاء الغرباء

مارست أعمالاً شتى منذ أن نزحت الى أربيل، تركت مدينتي التي أُغتُصِبت، أخذوا بيتي، أخذوا دكاني، وبالكاد نجوت وزوجتي وطفلي.... بالدموع ودعتُ مدينتي الصغيرة الغافية على ضفة الفرات.

أستيقظ من نومي قبل طلوع الشمس كل يوم، أرتدي كل ما عندي من ملابس، فالجو هنا بارد جدا، أضع على رأسي (اليشماغ)، وأرتدي قمصلة عسكرية قديمة، أتناول قليلا من التمر الزهدي مع الخبز، أشرب شايا ساخنا تعده زوجتي، ثم ألبس حذاءي السميك، أتناول من زوجتي محفظة صغيرة وكعادتها تضع فيها بطاقات رصيد الهاتف الجوال (الموبايل) بأنواعها الثلاثة، آسيا، زين، وكورك، ثم أغادر البيت مشيعا بدعواتها بالتوفيق في كسب رزقنا اليومي.

لم يكن أحد من أصدقائي ومعارفي يعتقد يوما، أنني سأتزوج أحلام إبنة عمي، فقد نشأنا في بيت واحد، وتربينا كأخوة، فهي فتاة متوسطة التعليم، أكملت الدراسة المتوسطة فقط، لكنها هادئة، مطيعة، تحبني وتحرص كل الحرص على تحقيق كل رغباتي، فهي ربة بيت ممتازة، ورفيقة درب وفية، هذا الى جانب تميزها بالعديد من سمات الانوثة

والجمال الجسدي، سمراء، فارعة الطول، ذات عينين واسعتين، غير أنني لم اكن افكر بالزواج منها، فانا لم أتخيلها كحبيبة يوما ما في حياتي، ولم اغرم بها ابدا.

تلسعني نسمات باردة وأنا أسير في طريقي الى شارع كويا العام، شارع عريض طويل يزدحم بالسيارات ليل نهار، أعرف مكاني في هذا الشارع الكبير، فقد وقع اختياري على مكان لعملي محاذي لحديقة هافلان العامة قبالة مستشفى الرسول الجديدة.

منذ الفجر أبدأ ببيع بطاقات الرصيد لزبائن مختلفين، سائقوا سيارات الإجرة ومن تقل من ركاب فيها، أصحاب السيارات الخاصة، المارة من الناس في الشارع، رواد المتنزه القريب الذي يعج بالنازحين، المرضى ومرافقوهم من مراجعي المستشفى المقابل، حفظت أشكال الناس وأنواعهم، البعض يستيقظ مع الفجر للعمل، آخرون يسهرون حتى الفجر، الكثير منهم يدفعون نقودهم بالخردة والعملة الصغيرة التالفة، والبعض الآخر يدفع بأوراق العملة الكبيرة الجديدة. العديد منهم يشتري كارت رصيد بقيمة خمسة الاف دينار والبعض الآخر يشتري أكثر من بطاقة واحدة وبقيمة أعلى، البعض يشترون رصيدهم منذ الصباح وهم ذاهبون للعمل او في طريقهم للسفر والبعض الاخر يشتري عند العودة في اخر الليل، منهم من يبدو عليه الملل والضجر وتوتر الاعصاب والقليل الآخر يبدو سعيدا وفرحا.

فاجأتني والدتي ذات صباح عندما سألتني:

- متى نتقدم لخطبة أحلام؟

- أحلام إبنة عمي؟

- نعم أحلام، عاقلة وشاطرة وإبنة عمك، ماذا تنتظر حتى تتزوج؟ أكملت الجامعة وتستطيع ان تعمل مع والدك في الدكان. من تنتظر؟؟

حقا من أنتظر؟ فسعاد لم توافق على الزواج مني، وقد قاطعتني، رغم انتظاري ثلاث سنوات من أجلها، قالت:

- الحب وحده لا يكفي للزواج وبناء اسرة، بدون الفلوس والبيت والسيارة لا يبنى مستقبل ولا ينمو حب

لقد أحبتني كما أحببتها لكنها كانت تفكر بطريقة خاصة بها، سنتان في الكلية ونحن نحب بعضنا، الحقيقة انني كنت احبها اكثر، انا كنت احبها بكل قلبي، اما هي فكانت تحبني بقلب سلم قيادته لعقل لامكان فيه للعواطف. اغرمت بها حد الجنون، البشرة البيضاء والعيون العسلية كانت تسحرني، حديثها الآسر، ابتسامتها، ضحكتها سجايا ميزتها عن سائر بنات قريتنا.

آه يا سعاد، كم أحببتك، وكم تمنيت الزواج منك، لكن يا سعاد (كل شئ بقضاء، ما بأيدينا خلقنا تعساء) وفي النهاية يبدو أن حبنا (كان صرحا من خيال فهوى!)

كم إستمعنا الى ام كلثوم معا وتناغينا باغانيها وهي تشدو لنا عن الحب والهيام.

في ليلة باردة ممطرة من ليالي الشتاء، وقفت سيارة فخمة من طرازحديث، يقودها رجل خمسيني بدين برأس أصلع، الى جانبه تجلس شابة جميلة يبدو كأنها خرجت للتو من صالون التجميل.

تقدمت نحو السيارة لاستمع لطلب الزبون، ناولني الرجل، عدداً من اوراق العملة ذات القيمة المرتفعة الحمراء.

– خمس بطاقات رصيد اسيا وبطاقتين رصيد كورك من فئة عشرة الاف دينار

تناولت المبلغ ورجعت للخلف مسرعا لجلب كرتات الرصيد للزبون الذي كان يبدو عليه الثراء.

فتحت الحقيبة، تناولت البطاقات المطلوبة، وخلال ذلك حسبت النقود التي استلمتها من الزبون فوجدتها مائة الف دينار، رجعت الى الزبون فاعطيته بطاقات الرصيد وأخرجت النقود من جيبي لأعيد له باقي المبلغ، فمددت يدي لاعطيه، لفت إنتباهي ان المرأة الجالسة جنب الرجل كانت تحدق بوجهي والدهشة بادية عليها.

تسمرت للحظات أنظر اليها، توقفت حتى عيناي عن الحركة، أحسست حينها ان رأسي يدور، أو ربما ان الكرة الارضية توقفت

عن الدوران! تحركت السيارة بسرعة دون أن يأخذ الرجل نقوده وهو يغمغم بكلمات لم أفهمها، لا زلت أنظر باتجاه سعاد التي إستدارت بإتجاهي وأستمرت تنظر الي، فالتقت نظراتنا.

مرت بخيالي آخر أبيات شعر أرسلتها لي.

ربما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعد ما عز اللقاء

فـاذا انكر خل خله وتلاقينا لقاء الغرباء

ومضى كل الى غايته لا تقل شئنا فان الحظ شاء

قالَ الغريبُ لطيفهِ:

عُد أنتَ للبيتِ القديمِ،

فأنتَ طيفٌ،

لا يضُرُكَ إن هَوى،

أو صارَ بعدكَ خاويا

أما أنا،

إني على سفرٍ،

فبيتي لم يعُد بيتي،

ولا مأوى ليا

شكيب أبو سعدة

كل شيء غريب

كل شئ غريب، إلا أحاسيسي الشاردة في الإفق، وقطرات الماء الكثيفة الساقطة خلف زجاج نافذتي.

لكل مطر زمنه وأحاسيسه، عندما كان المطر يتساقط ونحن صغار، كنا نخرج فرحين نركض بين حقول النخيل في قريتنا، نغني: (مطر.. مطر عاصي..... طول شعر راسي..... راسي بالمدينة.... يأكل حبة وتينه).

كان سقوط المطر يبشر بالخير القادم، فيعم الفرح الجميع....

عندما كبرت وذهبت الى بغداد للدراسة، كنت أقضي الساعات الماطرة في المقهى البرازيلي.. أرتشف القهوة هناك، وأضع كراس محاضراتي أمامي، أستمتع بمنظر المطر عبر زجاج النافذة وأسترجع عبق التاريخ من خلال شناشيل شارع الرشيد.

أحيانا أذهب الى مقهى السيدة أم كلثوم قرب ساحة الميدان وأستمع الى أغنية (فات الميعاد) وأنا أرشف الشاي البغدادي الاصيل، فيهتز بدني طربا، عندما تصل السيدة الى (ستائر النسيان.... نزلت بألها زمان).

كنت متأثرا بهذه الستائر الى درجه إنه لما أصدرنا أول مجلة في مدينتنا أنا وإثنين من أصدقائي وأسميناها (وعي الجماهير) كنا حينها طلابا في الثانوية، ونشرت في عدد المجلة الثاني والاخير قصة قصيرة عنونتها (ستائر النسيان)... قبل أن تستدعي شرطة الأمن زميلنا رئيس التحرير لتحذره من تكرار إصدار المجلة التي كنا نكتبها ونطبعها بالكاربون، ونوزعها على الاصدقاء.

الأن، وأنا نازح في وطني أشعر بالمطر وكأنه دموع حزن، يضيق بها صدري، وتفيض بها جفوني. أحمل مظلتي المطرية وأسيرفي شوارع اربيل هائما على وجهي، لعل زخات المطر، وإيقاعها على مظلتي ومن حولي يوقظني من شرودي، من حيرتي، من ضياعي.

يوم أمس كنت جالسا في مقهى مجكو.. قرب الباب الرئيسي لقلعة أربيل التاريخية والتي تعتبر إمتداد طبيعي للسور الأمامي للقلعة. جلست على كرسي في الساحة الخارجية للمقهى، من مكاني ذاك استطيع رؤية المحلات التجارية في القيصرية الرئيسية وكافة المارين في الشارع المزدحم امامي، عندما كنت اتجه بنظري يسارا فان النافورات المائية وساحة التجمع الرئيسية للقادمين للتنزه في منطقة القلعة تكون امامي مباشرة، كان الوقت مساءً والطقس معتدل ونسائم الربيع تتنقل بين

المارة بثقة وعنفوان. ستائر النسيان تلك كانت تصدح بشدوها ام كلثوم في المقهى المزدحم برواده، سواءً من كانوا في القاعة الداخلية الذين يقضون وقتهم بلعب الدومينو ام في الساحة الخارجية المستمتعين باجواء الربيع، المتسلين بالحديث مع بعضهم يراقبون المارة.

عادت بي الذكريات الى الماضي البعيد وسرحت مع الايام الخوالي، لم أكن منتبهاً لما حولي، كنت أنظر باتجاه الشارع، أوزع نظراتي هنا وهناك حيث المحال التجارية وحركة السابلة..لا شيء في الشارع يثير فضولي، لكم تبدو الأشياء أمامي غريبة تبعث في نفسي الأسى وتستفز دموعي. أخذتُ أتصفح وجوه الجالسين. وجهٌ جميلٌ أثارني طفقتُ أتأمل صاحبته، إبتداء من شعرها الذهبي الطويل الذي ينسدل على ظهرها متجاوزا مسند الكرسي الخشبي الذي تجلس عليه نزولاً إلى أسفل القدم، جسد ممشوق ممتلئ،عينان واسعتان، فيهما بريق يبعث على الحزن، حزن طاغٍ تسلل إلى اعماقي.

كانت تجلس وحدها في مكان قريب الي، تضع حقيبة يدها ذات اللون البيجي على الكرسي المجاور، وفي يدها تلفون جوال (موبايل) تراقب شاشته وتلمسها باصابعها بين الفينة والاخرى ثم

تنظر باتجاه الشارع المؤدي الى مبنى المحافظة كأنها تنتظر شخصا سيأتي من تلك الجهة.

شغلني منظر الشاب في مطعم المشويات الصغير على يمين المقهى، كنت اعرف انه نازح من مدينة بعيدة، يعمل في المطعم منذ الصباح حتى وقت متاخر من الليل يقدم المشويات (تكة، كباب، معلاك) يقضي كل الوقت واقفا امام نار الفحم المخصص للشي.

عندما انتبهت مرة اخرى الى جارتي وجدتها تقف مبتسمة وهي تصافح سيدة متوسطة العمر ممتلئة الجسم يبدو انها كانت على موعد معها. وبعد ان سلما على بعض التفتت هذه السيدة الى الخلف باتجاه امرأتين شابتين تقفان خلفها وقدمتهما الى الفتاة ذات الشعر الذهبي الطويل:

- صديقتاي مايا ويسرى

صافحتا الفتاة وجلستا جنبها، عرفت إنهن جميعا من سوريا، يحملن نفس الوجع ويكابدن نفس المآسي ويجتمعن على نفس المعاناة والآلام.

- دعيني اعرفك اكثر بصديقتي

-مايا هذه الشابة الجميلة من القامشلي، حائزة بكالوريوس ادب انكليزي ودبلوم في الترجمة، هربت من خطر الموت مع شقيقاتها

الثلاث واخيها الصغير ووالدتها، بعد قيام الجيش السوري بعملية أمنية في المدينة لايقاف التظاهرات المناوئة له التي راح ضحيتها المئات من القتلى والجرحى حسب ما تقول مايا. تركت خلفها مدينتها ووالدها الذي لا تعرف مصيره، كانت تحلم ان تكون مدرسة لغة انكليزية وتعمل على ترجمة القصص والروايات العالمية. تعمل الان في مقهى او ما يعرف بالكوفي شوب من الساعة 11 صباحا وحتى الساعة 11 مساء لستة ايام في الاسبوع.

– اما يسرى فهي من الحسكة، من نفس مدينتك، هي طبيبة اختصاصية بامراض الاطفال، وتعمل في مركز صحي للاجئين، وهي سعيدة بمهنتها المقدسة وغالبا ما تعبر عن سعادتها وامتنانها لممارستها لمهنتها في بلاد اللجوء. وهي تعمل على مساعدة ابناء بلدها من خلال عملها. سبق لها ان عملت طبيبة في الحسكة لست سنوات متتالية ومع اشتداد الاشتباكات اصبح الظلم في المنطقة لا يحتمل فلجأت مع اسرتها الى اربيل قبل ثلاث سنوات. كانت تخشى في البداية من عدم قدرتها على مزاولة مهنتها هنا ولكنها وجدت فرصتها مع احدى المنظمات الانسانية، في مركز لتقديم الرعاية الطبية لمواطنيها اللاجئين.

– اما انا يا داليا فتعرفيني جيدا هربت من عفرين المدينة الجميلة مع طفلي بعد ان قتل زوجي وتركني وحيدة في هذا العالم الكبير دون رفيق أو معين

نزلت دمعه حزينة على وجنتيها واردفت

– لكن مالك يا داليا؟.... لما تبدين حزينة ويائسة؟... يبدو ان صبرك على وشك النفاد

– من اين لي ان اصبر اكثر من ذلك؟ مللت الانتظار... فقدت الامل بعودة زوجي.... اختفى تماما... ضاع في زحمة العنف...انقضت سنة كاملة، بشهورها وايامها وزوجي لم يعد، ربما ابتلعته الحرب، ماذا يتوجب علي فعله؟

لم تستطع الاستمرار، كان صدرها مملوءاً بالأسى واليأس، انفجرت بالبكاء فجأة... لم تستطع حتى ان تكتم شهقاتها. جرت دموعها بغزارة كقطرات المطر الذي بدأ يتساقط...، تساقَط المطر وكأن السماء لا تريدها أن تلتقط أنفاسها، رَكَضَت تخوضُ في الماء الذي بدأ يغمر الأرصفة والشوارع المكسوة بالحجر.

حملتُ مظلَتي، وسرتُ دون هدى، المطر الذي يهطل يشعرني بالضياع، هربتُ نحو الممر المسقوف المحاذي للمحلات

التجارية أستظل به، ملابسي تبلَّلت ولازمني رجيف شديد، السيارات هدأت في الشارع والأضواء تبدو شاحبة من بعيد، رحتُ ابحث عنها، ماذا دَهَاني، السماء كانت صافية كصفاء نيتي قبل دقائق قليلة، ما الذي جعل الغيوم تتجمع بشكل غير معقول، ثمة رعد وبرق في الأرض والسماء.

مازلت معي في كل مكان

في كل ركن اراك

حتى سريرك

وخزانتك

ودفاترك

تحاصرني.....

تسألني عنك !

متى تعود؟

وما الجفون الا قربة مثقوبة، وبين الجوانح نار تلظى، أشواقي تحترق كل يوم على مشارف الفقد، حتى بساتين البرتقال حول بيتي صارت كئيبة، صامتة، حائرة. سنين ثلاث مررن وئيدات ثقال، أما انا... هكذا ما زلت بإنتظار الغائبين.

من يطفئ الجمرة اللاهبة في أحشائي، من يخمد لهيب نار أزلية في صدري، حنين البعد يقتلني، الألم يعتصر قلبي اذا ما مرت سيارة عبدالله في شارعنا، سيارته الصفراء التاكسي، بل كل سيارة كسيارته.

أثير، شاب ذكي ومرح، ملأ قلبي سعادة وحبوراً، اسمه ثامر هكذا مثبت في هويته وأوراقه الرسمية، جده أطلق عليه هذا الأسم ليكون كأسم ولده ثامر، الذي إستشهد في معركة نهر جاسم في الحرب العراقية الايرانية، اما نحن أهله وأقاربه فندعوه (أثير)، حتى نبعد عنه المكروه، هذا المكروه الذي لم نستطع لا أنا ولا والده أن نجنبه اياه، ولم نحمه من هذه الهجمة الشرسة، والطوفان الغاشم، ونار الحقد والكراهية التي التهمت الاخضر واليابس في مدينة البرتقال مدينتنا التي نشأنا وعشنا فيها.

بعقوبة مدينة جميلة وزاهية ببساتين البرتقال وطيبة أهلها وتآلفهم وحبهم لبعض بالرغم من كونهم من طوائف ومذاهب وأديان مختلفة.

حيدر ومحمد صديقا ولدي أثير في المدرسة. يسكنان قريبا من بيتنا، كانا اعز صديقين له، والداهما من أصدقاء زوجي، يجلسون في المقهى معا يلعبون الدومينو، وفي مواسم جني البرتقال نشترك جميعا في جنيه بتعاون ومحبة.

من يعينني على النسيان؟ من يعين امرأة لا زالت تحلم بيوم عرس إبنها؟ تحلم به يقف أمام عمارة عالية وبيده خارطة ومن حوله العاملون، يشير الى العمارة ويشرح لهم كيفية بناءها، كم تمنى دائما ان يصبح مهندسا بارعا كالمهندسة العراقية الشهيرة زها حديد التي ما مر يوم دون ان يذكرها أمام والده ويتفاخر بشطارتها وتميزها.

عندما ظهر اسم أثير في قوائم المقبولين للدراسة في كلية الهندسة جامعة تكريت في تلك الأيام المشؤمة من عام 2006 يوم كان العراق تتقاذفه أمواج بحر الطائفية المقيت، الدماء كانت تجري بكل مكان، والشباب والرجال يتساقطون ضحايا على ارض قاحلة جدباء من العقلاء والحكماء، لا أحد يريد ان يستخدم عقله ليعيش بأمان، الكل

يقتل بعضه بعضا، أسباب الحقد والكره تم استحضارها من بطون التاريخ، قصص ناءت بحملها الجبال، والغازي المحتل والدول الحاقدة تمعن في إذكاء فتنة أبناء البلد الواحد.

أنا وزوجي كنا خائفين، قلقين على أولادنا، والشباب ترمى جثثهم في الشوارع والترع والبساتين. المنظمات الإرهابية والعصابات ومليشيات الأحزاب تنتشر في المدن وعلى الطرقات، تداهم البيوت والتجمعات. العديد من العوائل غادرت بيوتها، وسافرت الى خارج البلد هربا من التهديد والقتل وطلبا للامن والأستقرار، أقاربنا وأصدقائنا وجيراننا نزحوا الى سوريا او الاردن اوهاجروا الى اوربا وامريكا، اما الذين لم يغادروا لضيق ذات اليد فاغلقوا عليهم بيوتهم ومنعوا أبناءهم من الخروج وتركوا أمر سلامتهم الى القدر.

طوفان الخوف والرعب يجتاح المدينة، والمسافة بين مغيب الشمس وطلوعها تزدحم بالوحوش والأفاعي، ظلام ثقيل يجثم على صدورنا تتخلله لعلعة الرصاص وأنات المغدورين.

قررنا أن نُهرِب (أثير) الى سوريا ليعيش هناك مع الكثير من الهاربين، أما زوجي وأنا والأطفال الصغار فنبقى لأننا بحاجة الى مردود الوظيفة

المادي نقيم به أودنا ونرسل ما يحتاجه أثير ليعيش هناك الى أن تمر هذه الزوبعة الصفراء التي غيبت الكثير من شبابنا دونما رحمة.

عمل أثير مع محمد وحيدر صديقيه في نفس الجامعه على تأجيل السنة الدراسية والسفر الى سوريا نزولا عند رغبة الأهل.

كم هي حزينة لياليا بعدك يا أثير، لم تدخل الفرحة بيتنا، حتى الزهورفي حديقتنا ذبلت، وهجرت البسمة وجه جارتنا خلود، تلك الصبية الجميلة، التي اختفت ضحكتها بإختفاء وردتك البيضاء التي إعتدت أن تقدمها لها كل يوم، لا زالت خلود تنتظرك، انا وهي ننتظرك، وننتظر عودتك، نحلم كلانا بأن تعود الينا، لكن المسافة بيننا وبينك تتسع، فمتى العودة يا اثير؟

عندما إستاجرتم عبدالله بسيارته التكسي، أنت ومحمد وحيدر، قلتم إنكم ذاهبون الى تكريت لتأجيل دراستكم عاما واحدا، على أمل أن يتوقف العنف خلال هذا العام، لتعودوا الى وطنكم ودراستكم.

سافرتم عند الفجر، أكملتم إجراءات تأجيل دراستكم عند الظهر وتوجهتم عائدين، ماذا جرى لكم في الطريق يا بني؟ لماذا لم تعد الينا؟ يقول السائق محمود إن مجموعة من الملثمين مدججين بالسلاح أوقفوكم في الطريق، لا احد يعرف من هم، هل هم من

الشرطة؟ من الجيش، مليشيا مسلحة ام ارهابيون؟! طلبوا من محمود التوقف بسيارته، وأمروكم بالنزول منها، وأخذوكم الى حفرة بين النخيل، ثم عاد أحد المسلحين بعد نصف ساعة الى عبدالله وطلب منه ان يغادر بسيارته، ماذا جرى لكم بعدها؟ أين أنتم الان؟ هل قتلكم هؤلاء الاوغاد؟ هل دفنوكم أحياء في تلك الحفرة؟ من يرحمني ويقول لي أين أنت يا اثير؟ أيتها السماء الغاضبة، أيتها الشمس الحارقة أين إبني؟؟

كم سننتظر أنا وخلود موعد عودتك؟ سنوات طوال انقضت ولم تعد، متى يا ترى تعود؟

الى متى سأقاوم؟

مشتاقة إليك

يا لهفتي عليك

كم التقيك وأنت بعيد،

وأنت القريب؟!!

العيونُ تصبوا اليك... لا تعرف النوم

هل تدري كم أحبك؟!!

آه لو تدري كم أحبك !!

غَيرتَ إتجاهكَ ونسيتني

السماء ملبدة بغيوم كثيفة، ثمة رعد وبرق، هموم كثيرة كهذه الغيوم، تتجمع وتتجمع يعقبها رعد وبرق وأمطار غزيرة، غير أن الهموم عندما تنفجر لا تمطر غيثاً بل تقذف حمماً لا تطاق.

ربع ساعة من الزمن كل ما أحتاجه للوصول إلى بيت محمود، قطرات ساخنة تغطي وجهي، كل جسدي كان يحترق، ولهب ساخن يلفحه، منذ أن كنا طالبات صغيرات أنا والهام، كنا نخرج من المدرسة عند إنتهاء الدوام، نسير على رصيف الشارع الطويل، لم أكن حينها أتصور أن هناك شارعاً أطول منه، في نهاية الشارع عند المنعطف كنت تقف هناك يا محمود، تحمل كتابا في يدك، تترك خصلة من شعرك تنسدل إلى أمام لتغطي جبهتك، تقرأ وتراقب الشارع بنظرات تتسلل من خلال خصلة شعرك.

كنت تشبه والدي طولاً ورشاقة، عينان واسعتان حادتان كعيني صقر،.عندما نقترب منك كنت ترفع شعرك بيدك إلى الأعلى وتبتسم، أنا والهام نخفض نظرنا إلى الأرض ونبتسم، وتحمر وجوهنا وترتبك خطواتنا ونمسك أيدينا.

كل خطوة باتجاه شقتك تزيد توتري، وتبدأ أنفاسي تضايقني، منذ أن تزوجتَ الهام يا محمود وأنفاسي تضايقني.

لم أنم ليلتها، أحسست أنني أموت، يضيق صدري، وأنفاسي تتضاءل، أحسست بما يشبه وصول القطار الى محطته الأخيرة، لم تعد امامي محطة أخرى، كل الركاب ذهبوا إلى بيوتهم، إلا أنا لم يمر القطار بمحطتي، ربما كنت نائمة وتجاوزني.

انت يا محمود تجاوزتني، غيَرت اتجاهك ونسيتني، كنت مشغولا عني وتركتني.

لكن الهام لم تنسني... ولم تتركني! لماذا لا تتركني؟؟

حتى بعد أن تزوجتك، لم تتركني ولم تدعني وشأني.

أتذكر يا محمود عندما قلت لالهام ونحن عائدون من السوق، كنت يومها عصبيا:

- متى تستطيعين الاعتماد على نفسك يا الهام؟ كل وقتك مع سلوى!.

حينها قالت لك:

-سلوى توأم روحي، ومخزن أسراري، هي هدية الله لي

انا والهام نعرف بعضنا منذ الطفولة، نسكن نفس الحي، نفس الشارع، نلعب معا ونضحك معا، عندما استشهد والدي في الحرب، كنت حينها طفلة صغيرة، كنا نبكي معا انا والهام، حتى والدتي عندما يضايقها المصروف وتذكر والدي وتبدأ بالبكاء تأتي أم الهام تبكي معها، كلما يأتي الشتاء وينزل المطر تبدأ والدتي بالبكاء، تقول لي أن والدك استشهد في يوم ماطر، سمعت جرس الباب، كانت الدنيا باردة ووالدتي خائفة، ترتجف... قالت لي:

- سلوى إفتحي الباب

فتحت الباب، كانت سيارة تكسي تقف في الشارع، فوقها تابوت ملفوف بالعلم العراقي، الدنيا كانت تمطر، مطرا شديدا.

لم يبق من الطريق لبيتك سوى السوق المزدحم، سيارات كثيرة في الشارع، كأن المدينة تتنفس سيارات، أصوات السيارات وضجيجها يملأ رأسي، التكسيات كثيرة في الشارع.

المطر بدأ ينزل غزيرا، كأنه الطوفان. أوقفت سيارتي في الشارع العام كي لا يراها أحد قرب بيتك، اني احتاج هذا الوقت الذي ساستغرقه مشيا إلى بيتك، لاسترجع به أنفاسي، واتحكم بزوبعة التيارات المزدحمة في رأسي.

استمر المطر ينزل بغزارة، كأن قطراته وابل كثيف من الرصاص، جرى الماء بقوة في الشارع، هذا هو منزلك أمامي أعرفه جيدا، من النادر أن يمر أسبوع دون أن أزوركم، إذا إنقضت أكثر من خمسة أيام دون أن تتصل بي سلوى تدعوني الى منزلكم، فلن أعجز في إختلاق الأعذار لكي أزوركم.

عندما ادرت المفتاح في الباب كانت يدي ترتجف، كل البيوت كانت ترتجف، الشوارع، المحال، الأشجار، حتى النساء والرجال تحت الأمطار يرتجفون، وامي أيضا كانت خائفة وترتجف، انا ايضا كنت أرتجف كأنني لم اذق الدفء في حياتي، من أين لي أن أذوق الدفء، وحياتي كلها شتاء بارد، كأنها شجرة فقدت أوراقها...

دخلت وأغلقت الباب خلفي، أنا اعرف الطريق إلى غرفتك، المكتبة أيضا أعرف طريقها، لا بد إنك منغمس في القراءة، أنا اعرف ان كل وقتك للقراءة، حتى عندما كنت تقف على طريق المدرسة كنت تقرأ.

يا ترى ماذا تقرأ كل هذا الوقت، هل قرأت عن الليالي الطويلة الباردة، هل قرأت عن البكاء في الشتاء والمطر الكثيف، انا قادمة

إليك، لا تحاول أن تهرب، لن تتركني هذه المرة، الهام في العمل وانت تقرأ قرب المدفاة، أيام الشتاء باردة والأمطار غزيرة وأمي تبكي عندما تنزل الأمطار، انت واقف في المنعطف، طويل رشيق عيناك واسعتان كعيني صقر.

النارنج بيتي وبيت أبي وبيدرنا

وشجيرة النارنج تحتضنني

تاهت بعينها وماعلمت

أني عبدت بعينها وطني

نزار قباني

عبق النارنج

أحب المشي في الصباح الباكر، يستهويني ويثير شغفي، يشعرني بمتعة الحياة ونعمة الصحة، انهض مبكرا عند الفجر، فالبدايات جميلة وولادة الاشياء لها طعم خاص، أُصَّلي واشرب كوباً من الماء الدافئ وأخرج من البيت. لا شيء أجمل من نسمات الصباح، منعشة، نقية، محملة بشحنات باردة.. يرافقها عبق النارنج ينبعث من حدائق الجيران، قشعريرة باردة تتغلغل برفق الى البدن، انها اجواء الربيع مطرزة بذكريات جميلة.

الشارع العام ليس ببعيد عن منزلنا، اعبر صفا من البيوت المستكينة خلف العمارة المحاذية للشارع ثم أجتاز الساحة الفاصلة بين أقرب عمارتين الى دارنا، ها أنا على رصيف الشارع العام. اتجه يميناً.. أنظر نظرة طويلة استطلع بها الشارع، ثم أبدا سيري المعتاد بهمة ونشاط. فاتني ان اذكر أني عندما اخرج من البيت انظر الى ساعة الهاتف وأخزن الوقت في ذاكرتي، فالوقت دائما يحتل مكانه الخاص بين إهتماماتي.. اجتاز العمارات الخمس المصطفة الى جنب بعضها البعض ثم اواصل السير الى ان اصل قبالة محل البقالة الكبير في الجانب الآخر... أقف.. أعبر الشارع وأعود الى بداية الشارع الفرعي المقابل لنقطة سيري الأولى، عند ذلك أكون قد انجزت رياضتي الصباحية.

طيلة الفترة الزمنية التي اقطعها تحاصرني افكار عن أمور شتى.. أحيانا نجزع من الحياة ونكابر في سبيل البقاء صامدين، غير اني عندما انظر الى الشجرة المنتصبة في الجزرة التي تتوسط شارعنا حينها أشعر ان تشبثها بقوة وسط حر الصيف وبرد الشتاء وسط ضجيج السيارات ولو ليوم واحد فقط ليس بالامر الهين فهي تحتاج كما نحتاج نحن الى إرادة الصبر والصمود والعزيمة.

لم تكن البداية في اربيل، فقد تعودت ان أنهض مبكرا واخرج للمشي كل صباح، حتى اصبحت عادة لازمتني طيلة حياتي، حتى في سفراتي الى ديار بعيدة..... وهناك في احدى الصباحات خرجت مبكرا من الفندق الذي كنت اقيم فيه في زغرب. ذهبت الى حديقة واسعة تملأها الأشجار والزهور الجميلة، لا تبعد كثيرا عن الفندق. سلكت احد الممرات التي تتشابك اغصان الاشجار فوقه وتغمر الأجواء الروائح العطرة للزهور التي تغص بها الحديقة، انا كعادتي استمتع كثيرا بالمشي... وفجأة سمعت همهمة قريبة، ليفاجئني كلب ضخم يقف في تقاطع فرعي نهاية الممر وهو ينظر الي نظرات غير ودية، حينها بدا لي انه يتحفز لأمر أفصحت عنه عيناه. تجمدت في مكاني، ضخامته وقربه مني جعل من فكرة الهرب امراً عديم الجدوى. كثيرون هم الذين يمارسون رياضة المشي في الحدائق العامة برفقة كلابهم غير انهم عادة ما يربطونها بحبل ويقودونها معهم، الا ان الغريب في امر هذا الكلب انه كان يقف

وحده. لم اقم بأية حركة، كنت فقط انتظر متى يهجم علي. اطلق لي تحذيرا بزمجرة عددتها بداية الهجوم... هكذا بدا لي الامر لكن صوتا صدر من خلف الاشجار حيث كانت تجلس امرأة مسنة، شعرت عندها بأن انقاذا بطريقة ما قد تحقق، لم افهم شئاً مما قالته تلك المرأة العجوز لكن الكلب الضخم فهم عندما استدار وتركني. منذ تلك الحادثة وانا ادقق النظر حولي كلما خرجت للسير فجرا.

عادة ما ادخل في الشارع الفرعي على جهة اليمين واسير فيه. نادرا ما تواجهني السيارات في هذا الوقت المبكر من الصباح. لا ألبث حتى أصل فرن الخبز، اطلب من الخباز اربع أرغفة سمراء من خبز الشعير، أستلمها ساخنة وأعود على نفس الطريق، عندما أصل الشارع العام أنحرف يميناً.. أمشي قليلا فأصبح أمام محل شاري لبيع الحليب ومشتقاته أدخل الى المحل، كل الاطعمة التي احتاجها في الافطار معروضة، لبن اربيل بنوعيه لبن الغنم ولبن البقر، القيمر العربي الشهي، قشفة الضأن، جبن كرد جبن (فاه) بلا ملح، العسل، البيض، دبس، اشتري لبن أربيل المميز وما احتاجه من المعروضات الاخرى واعبر الشارع عائدا الى البيت.

في المطبخ اجد زوجتي قد أعدت الشاي والبيض المسلوق والزعتر بزيت الزيتون وماعون الخيار مع الطماطة تضيف اليه ما جلبته من محل شاري ثم نتناول فطورنا على صوت فيروز الشجي.

عند خروجي صباح هذا اليوم، راودني شعور بان شيئاً ما غير معتاد سيحدث، ربما بفضل الحاسة السادسة او حدس ما، شعور ببعض القلق وهواجس اخرى كانت تتلبسني، الاجواء قرب المخبز غريبة، نظرات الخباز الى الزبائن مريبة، شرر يتطاير مع نظراته، مراقبته لوجوه ونظرات وحركات الزبائن لم تكن اعتيادية، اسئلته كانت كثيرة.

عندما وصلت الى هناك كان ثمة اثنان من الزبائن ينتظران قبلي، امرأة شابة ورجل ثلاثيني طويل أحكم لفافا رماديا حول رقبته، كانت المرأة تضع شالا سماويا على رأسها، تركت شعرها الاسود الطويل يتدلى خلف ظهرها، جسمها بض يميل الى الامتلاء، وجه مستدير أبيض بعيون عسلية كبيرة، تبدو عليها الربكة والتوتر، تسترق نظرات تجاه الرجل الطويل الذي احتل الجهة المقابلة، كان هو أيضا يبادلها النظرات متحاشيا إنتباه الآخرين. استلمت المرأة أرغفة الخبز من صاحب الفرن، وضعتها في كيس النايلون وخرجت مسرعة. جاء الدور للرجل، اشترى اربع ارغفة من الخبز، كان يحمل في اليد الاخرى كيساً فيه كاهي وقيمر عرب. حمل الخبز والقيمر والكاهي وذهب متجها نحو اليمين باتجاه الشارع الرئيسي، كان يتلفت وينظر الى الامام ثم يعاود النظر الى الخلف. اشتريت ارغفة خبز الشعير وقفلت راجعا ميمما طريقي نحو اليمين كعادتي لاجد ذاك الرجل يسير في نفس طريقي، يتقدمني بمسافة مائة متر تقريبا وأمامي مباشرة كان شاب رياضي ضخم يبدو كأنما كان يراقب

الرجل ذا اللفاف الرمادي ويسير خلفه، انتابني الحذر والريبة من الامر، خاصة عندما رأيت ان الرجل كان يكثر الالتفات الى الخلف والنظر الى ما حوله. شغلني الهواء المنعش وأنغام فيروز الصباحية القادمة من بعيد عن متابعة ما يجري حولي، فالصباحات لها طعم الشباب المقبل على الحياة، تذكرت أيّام الشباب، عندما كنت في الأيام الأولى لدوامي في الجامعة، أغادر غرفتي التي سكنت فيها حينذاك في البتاوين، أسير باتجاه حديقة الأمة، أتناول فطوراً في مطعم صغير على ناصية الشارع، ماعون من قيمر العرب مع المربى أو الدبس وكوباً كبيراً من الشاي ثم أتجه الى موقف السيارات الذي انطلق منه الى الجامعة.

حاول ذاك الرجل الذي يسير أمامي أن يختبيء خلف بضاعة لأحد المحلات في الشارع، لفت انتباهي ان هناك شيئاً ما تحت حزامه يبدو وكأنه مسدس، اما الرجل ذواللفاف الرمادي فلمحته يستدير يميناً ويدخل أحد الطرق الفرعية.

أسرعت الخطى في طريقي لأقطع الشارع باكمله باتجاه البيت. عبرت الشارع الرئيسي عندما سمعت وابلاً من الإطلاقات النارية، ساد بعدها سكون مطبق. بعد قليل ظهر رجل ضخم يركض مسرعا عبر الشارع الرئيسي ما لبث ان اختفى في أحد الفروع. بقيت واقفا لا أفقه شيئا ثم واصلت سيري بإتجاه البيت في الوقت الذي بدأت أسمع أصوات صراخ وعويل، وعندما دخلت البيت كان ضجيج سيارات الشرطة يسمع من بعيد.

لقد بكيت يوم ولدت وأوضحت لي الأيام سبب ذلك

مثل انجليزي

الأيام العصيبة

قضيت السنوات الأولى بعد زواجي دون ذكريات جميلة. نادرا ما كنت أقوم بزيارات ولو بسيطة الى الاصدقاء والاقارب بالحي الذي أسكن فيه. لم نقم برحلات أنا وزوجي الى مناطق جميلة أو تناولنا عشاءنا يوم ما في مطعم جميل. زوجي عصبي المزاج غالب الأوقات، هو رجل طيب وحنون وشهم، يحب مساعدة اصدقائه والوقوف معهم خاصة في أوقات الشدة، فهو من اولئك الذين لا يألون جهدا في التضحية من أجل الاخرين، والأخرون بالنسبة له هم الوطن، وكثيرا ما كان يعتقد ان روح التضحية هي المجال الذي يجد نفسه فيه والأفق الذي يحقق شخصيته واعتزازه بنفسه.

كان محمود، زوجي، ضابطا في الجيش العراقي قبل أن يقوم بريمر، الحاكم المدني الامريكي للعراق بعد إحتلاله، بحل هذا الجيش الباسل وتسريح الألاف من أفراده من الخدمة وتركهم الى الشوارع، أصبح زوجي عاطلا عن العمل، هكذا بجرة قلم قام بها هذا الغازي مع المتعاونين معه.

كنت فخورة بنفسي، فقد إستطعت أن أصمد وأُثابر لتوفير العيش الكريم لزوجي وأطفالي. فأنا معلمة في المدرسة القريبة من دارنا، أقيم

علاقات طيبة مع أقاربي وجيراني في حي الزهور في الموصل مما أتاح لي أن أقوم بالتدريس الخصوصي للطلاب بعد أوقات الدوام الرسمي أو خلال العطل الرسمية للمدارس في الصيف.

لم يستطع زوجي التأقلم مع أية مهنة او وظيفة أخرى غير الخدمة في الجيش، والذي لم يستطع العودة اليه رغم محاولاته المستمرة، لذا بقي عاطلا عن العمل. كان يعتقد انه لا يجيد اي عمل الا ضابطا في الجيش كما كان ابوه وجده ايضا.

خلال السنوات الست التي أمضيتها مع زوجي رزقت بطفلين، إبنتي وسن، ذات السنوات الخمس، ويوسف ذو الثلاث سنوات.

يسكن معنا في البيت الحاج محمد والد زوجي، وكان يعمل محاسبا في مصرف الرافدين قبل ان يحال على التقاعد، أما حماتي سعدية فكانت مديرة للمدرسة التي أعمل بها الآن، لكن ذلك كان قبل أن تتقاعد من الوظيفة، ونحن (حماي وحماتي) وأنا لا نستلم راتبا الآن، لأن الرواتب توقفت بعد سقوط المدينة بيد الارهابيين.

الظروف أصبحت قاسية علينا بمرور الوقت وأيامنا أصبحت عصيبة فنحن لا نشتري مواد غذائية الا البسيطة وقليلة السعر، فلا نملك سوى النقود التي مع حماتي والتي إحتفظت بها لأيام الشدة، وعلينا الاقتصاد بها لكي تكفينا. العجيب في الامر ان أيام الشدة هي كل الأيام منذ قدومي الى الدنيا ولحد الان، ولا اعرف الأيام السهلة والسعيدة متى

تاتي، غير ان زوجي وعدنا بانه عندما تتحرر الموصل سيحاول التطوع في الجيش مرة آخرى وسيجمع نقوداً ويشتري لنا أحسن الملابس وأطيب المأكولات ويذهب بنا الى المصايف ويشتري لنا كل ما نرغب.

الأيام متشابهة فالليل كسابقه والنهار كالنهار الذي يليه، غير ان معارك تحرير الموصل بدأت وبدأنا نسمع أصوات المدافع وأزيز الرصاص.

حماتي أخبرتنا إنها سوف تذهب إلى بيت ابنها أيوب في الطرف الثاني من الحي الذي نسكن فيه وتبقى معهم في بيتهم لأنها لا تستطيع ان تتركهم وحدهم، فالمعارك قادمة وأصبحت على الأبواب.

إقتربت المعارك من حينا، فاصوات الإنفجارات أصبحت قريبة وقوية ولعلعة الرصاص في كل مكان، علقنا آمالا كبيرة على الخلاص، كنا نريد ان نتخلص من الظلام، من التخلف، من أيام سوداء عصفت بنا وبأحلامنا وبمستقبل أطفالنا، ومستقبل بلدنا بشكل كامل، غير أننا نعيش قلقا يذرو آمالنا كما تذرو الرياح القش وأوراق الشجر في الخريف.

كيف يفكر الانسان وهو ينتظر الموت!! كيف يتصرف؟ وماذا عليه ان يعمل؟ انا وزوجي وابنائي وعمي كلنا ننتظر الموت..... واي موت، هل نحن نعيش حاليا لكي نموت؟ نحن اصلا ميتون!... نعيش ونموت كل يوم..... نحيا عندما نرى أبنائنا يلعبون ويفرحون ويضحكون، ونموت كلما رأيناهم يبكون من الخوف او الجوع، كل شخص يفكر بطريقته عندما يشعر ان الموت قريب منه.

اجتمعنا كلنا تحت الدرج، واحتمينا به، الانسان يهرب بحدسه الى المكان الذي يشعر انه أكثر أمناً، الحمام قريب منا، هو الآخر تحت الدرج، زوجي سحب خزان الماء من الحديقة ووضعه أمامنا، ليغلق علينا المكان ويحمينا، وفي نفس الوقت يجعل الماء قريباً منا، عندما ننام ليلا، نضع وسن ويوسف لصق الجدار، وننام نحن على الجهة الاخرى جنب خزان الماء، بذلك نظمن عدم وصول أية شضية او إطلاقة بإتجاه أطفالنا، نقضي أغلب وقتنا في هذا المكان، ويقتصر ذهابي الى المطبخ مرة واحدة او مرتين خلال فترات توقف القصف او إنقطاعه، أعد خلال ذلك أقل ما يمكن من الغذاء الضروري لنا، أما عمي محمد فكان يقضي معظم وقته بالصلاة وقراءة القران.

تقول وسن لجدها: جدو، ألم تقل لي إن الصلاة خمس مرات باليوم؟ أنت كنت تعلمنا أنا ويوسف لنصلي معك.

ويجيبها: صح خمس مرات باليوم

– إذن لماذا الآن تقضي كل النهار والليل تصلي

يأخذها في حضنه ويقول لها: انني أصلي وأدعو الله ان يحفظكم، ويحفظ كل أهل الموصل، وادعوه ان يحرر مدينتنا لنعيش بسلام.

انا ومحمود أيضا كنا نصلي ونقرأ القرآن كثيرا لكني أبكي كثيرا عندما أصلي.

– لماذا تبكي يا ماما؟؟

- لا شي

- إذن لماذا البكاء؟!

- تذكرت خالو اسامة.. حين إستشهاده عندما قصفتهم الطائرات الامريكية

- طائرات؟؟

- انت لا تتذكرين الطائرات الامريكية عندما كانت تقصف بيوتنا ومدننا، لانك لم تولدي بعد!

ثم استدركت: في الحقيقة أنا لم أكن قد تزوجت والدك حينها.

هل كتب علينا الموت المستمر؟ البعض يموت بقصف الطائرات، وآخرون يموتون بحرب قاسية، وآخرون يموتون ذبحاً أوشنقا وغدرا وترمى جثثهم على قارعة الطريق، كل يموت كما يريد المتنفذون، يعيش كما يريدون أيضا، ليس لدينا الخيار في العيش وليس لدينا خيار الموت. صديقتي تقول ان أخاها اختفى، ولما لم نجد له أثراً، قالوا لنا انه قد يكون مقتولا ومرميا في مكان ما، وان أباها قتل بحادث سيارة كان يقودها مراهق أرعن، أما أمها فقد توفيت هما ووجعا، كثرت الأسباب والموت واحد.

عندما يخلد الاولاد للنوم ليلا كان زوجي يغطيهم ببطانيات كثيرة ويقول لي:

- الجو بارد جدا....غطيهم جيدا، حتى لا يتعرضون للبرد ويمرضون، فليس لدينا أدوية كافية.

الظلام والرصاص والمدافع ترعبنا، ما يجعل يوسف يبكي، ويبكينا معه وأردد:

- يا ربي، متى تنتهي الحرب ونعيش بسلام؟

أما متى تنتهي الحرب، فيعرف ذلك الذين أشعلوها، والذين يعرفون متى ينهوها، اما متى نعيش بسلام، فلا يعرفها الا الراسخون بالعلم ويعيشون بعيدا عنا.

في أحد الأيام... قبل الظهرقليلا، بدأت معارك شديدة وأصوات الانفجارات إقتربت الينا، انا وزوجي دثرنا الأولاد بالبطانيات، وجلسنا قربهما تحت الدرج، كانا يتكلمان مع نفسيهما بدون صوت، وسن كانت خائفة ودموعها تنزل على وجنتيها، زوجي كان يطمئننا ويقول:

- لا تخافوا، الله يحفظنا

استمرت المعارك طيلة النهار والليل، سمعنا طلقات قريبة جدا، إقتربت أكثر حتى بدأت تصطدم ببيتنا، زجاج شبابيك البيت بدأ يتكسر وأصوات تحطمه بدأت ترعبنا، بدأنا نتجمع مع بعضنا ونتكور تحت الدرج، وسن ويوسف ارتفع بكاؤهما من الخوف والتعب، طيلة الوقت كنت أبكي مذعورة، في ساعة ما من الليل هدأ القصف وسكنت الاصوات تدريجيا، نمنا نتيجة للتعب والخوف والارهاق.

عند الفجر إستيقظنا جميعا على صوت عمي محمد يقول:

- إستيقظوا... الحمدللة والشكر يارب، تحررت منطقتنا، كل الشوارع المحيطة بنا تنتشر بها قواتنا الأمنية وعلى السيارات أعلام عراقية، شاهدتهم من بين ستائر الشباك عند صلاة الفجر

فرحنا جميعا، غمرتنا البهجة وتنفسنا الصعداء، وسن ويوسف فرحا جدا، زوجي وعدهم بانه سيشتري لهم كل شيء، وسنسافر الى بيت اختي سندس في اربيل، وسنقضي أياماً سعيدة، نلتقي فيها مع الاقارب والأصدقاء.

يبدو اننا خرجنا من عنق الزجاجة، يا ترى هل كنا نعيش في زجاجة فعلا؟ وهل اجتزنا العنق حقا؟ ام اننا نحلم! هل سنتنفس الحرية؟ هل سننعم بالامان؟ هل ستستقر مدننا وبلداتنا وتستقر حياتنا؟ هل سننام ملئ جفوننا ونرى ابنائنا يكبرون امامنا؟ دعونا نستمتع بالخروج من عنق الزجاجة اولا فما لبث الحزن والهم ان خيم علي مرة اخرى وبدأت دموع ساخنة تنساب على خدي !

- ماما لمَ تبكين؟ الم تقولي لنا اننا سنرتاح عندما نتخلص من داعش؟؟

- انشاء الله نرتاح، لكن !

- لكن ماذا؟ ماذا بعد؟

- لا نعرف بالضبط نوع القوات الأمنية العراقية، يعني هل هم جيش؟ شرطة اتحادية؟ شرطة محلية؟ حشد شعبي؟ حشد عشائري؟ أم قوات مكافحة الإرهاب؟

- ماذا يعني؟

- سمعنا انه هناك قسماً منهم غير نظاميين وغير منظبطين، وأخشى أن يؤذوا بابا أو يعتقلوه.

- يعتقلونه ! لماذا؟؟؟ لكن هو ليس داعشياً.

غير ان عمي محمد كان يبدو عليه الفرح وكأن هما كبيرا انزاح عن صدره في هذا الفجر. فاستدرك قائلا:

- (بابا ماكو هيج شي، لا تصدكين الأخبار) كلهم عراقيون، أنتم لا تعرفون العراقيين مثلما أعرفهم، لقد عملت في الرمادي والعمارة والحلة وبغداد، كلهم أخوة وأبناء عشائر و(ناس تحب ناس)، لكن الأمريكان عندما احتلوا العراق بدأنا نرى أشياء جديدة ليست من عاداتنا وتقاليدنا.

حماي شجعنا وكان فرحا واستمر يتكلم:

- سوف ترون ان كل شيء سيكون على ما يرام، انا سمعت الأخبار من إذاعة الغد بالراديو، يقولون ان القوات الامنية، تستقبل النازحين من المناطق المحررة، تعالجهم وتقدم لهم الطعام

ثم أخذ عمي محمد احفاده الى قرب الشباك وقال لهم:

- أنظروا، هذا جيش عراقي

وسن ويوسف كانا فرحين، يركضان في البيت، انا ومحمود ذهبنا الى المطبخ لإعداد الفطور، ملأ زوجي القدر الكبير ماءً وقال:

- سوف نسخن ماء كي نغتسل جميعا.

جلسنا جميعا في المطبخ نتناول الفطور ونشرب الشاي، فطور شهي بالرغم انه كان بسيطا، غير انني أحسست ان الجميع كانوا ياكلون بحماس ويتلذذون بالطعام، شعرت حينها ان الحالة النفسية للشخص تتحكم بشهيته.

أخذ عمي محمد كوباً من الشاي بيده وخرج من المطبخ بإتجاه الحديقة...

محمود قال لوسن ضاحكا:

- ستصبحين جميلة جدا عندما تكبرين، مثل أمك

السعادة غمرتني واعتبرت ذلك غزلاً غير مباشر وضحكنا جميعا.

العواطف هي الاخرى تتمحور حول حالة الشخص النفسية وتتحكم بها ايضا. سحبني محمود من يدي وظمني اليه وقال لي وهو يمسح على شعري:

– الحمدلله على سلامة ابنائنا وسلامتنا جميعا يا منال، اطمئني سنكون بخير وساعوضك عن كل ما فاتنا في الايام العصيبة التي مرت

فجأة، سمعنا صوت انفجار قوي جدا، ثم ارتطمت الشظايا بقوة بجدران بيتنا، خيم الصمت والذهول على الجميع.

– هذه سيارة مفخخة !

قال زوجي ذلك ثم أكمل فجأة:

– ابي !

ركض محمود الى الصالة وانا ووسن ويوسف نركض خلفه، نظرنا من الشباك، كان عمي محمد مرميا على أرض الحديقة والدم ينزف منه.

ركض محمود الى الحديقة وحمل والده، الذي كان فاقدا للوعي والدماء تتدفق من رأسه ووجهه، خرج به من البيت مسرعاً، بقينا انا ويوسف ووسن في البيت، الخوف والقلق والتوتر ينهشني، كنت خائفة على زوجي وحماي، أصوات متقطعة للرصاص وسيارات الإسعاف تتنقل بسرعة، بقينا اكثر من ساعة ونحن خائفين، مختبئين بالبيت، ثم توجهت نحو الاولاد قائلة:

– أبقيا هنا تحت الدرج، ريثما أصعد إلى الطابق الثاني وأنظر من خلف الستارة لعلي أرى والدكما، علينا ان نعرف شيئا عنه وعن عمي محمد

صعدت الى الطابق الثاني، ومن خلال الستارة نظرت بإتجاه نهاية الشارع، حيث تتمركز مجموعه من أفراد الجيش، فرأيت محموداً واقفا يتحدث معهم.

بقينا جالسين في البيت والقلق يسيطير علينا، يا الهي ما الذي يجري لنا كيف هو عمي محمد وماذا جرى له واين هو الان هل نقلوه الى المستشفى من سيرعاه ومن يعتني به من يبلغ حماتي وكيف ومن ياخذها لتعتني به، هل يستطيع احد الخروج في هذا الوضع السئ؟، ثم بعد ذلك سمعنا صوت الباب الخارجي يفتح، ركضنا الى الشباك لنرى مصدر الصوت، رأينا محموداً متجهاً الى داخل البيت، والدموع تنهمر من عينيه، والهم والحزن يبدوان عليه، صحت:

- خير! ماذا جرى؟ هل حدث سوء لعمي؟

- أبي أخذوه بسيارة الأسعاف الى المستشفى العسكري، لكن أبو قصي جارنا، أصابته شظية، سمعت صراخا في بيتهم عندما كنت عائدا، فتحت الباب فوجدته في الحديقة ممددا وزوجته وأطفاله قربه يصرخون، لقد كان ميتا.

أخذت اصرخ وابكي بصوت عال، زوجي كان يبكي بحسرة، فأبو قصي كان صديقاً عزيزاً عليه.

ذهب محمود الى المخزن أخذ الرفش (كرك) وخرج من البيت وهو يردد:

- إنتبهي للأطفال، سأذهب الى بيت أبي قصي، سأحفرله قبرا في الحديقة لأدفنه ثم أعود.

جلسنا في البيت محطمين، حزانى، نبكي من الخوف والقلق، الوضع في الخارج هادئ، لكن هناك أصوات طلقات رصاص متفرقة.

بين الفينة والاخرى كنت انظر من خلال الشباك واقول:

- محمود تأخر، أنا خائفة

وضع الحي غير مطمئن والناس كلهم في البيوت، القوات الأمنية حذرة والارهابيون يتسللون ويقنصون.

أصبح الوقت عصرا وزوجي محمود لم يعد، أمضيت الوقت وانا قلقة والتوتر ظاهر علي، لا اعرف ماذا اعمل، بدأ الجوع والخوف يتعبنا وزوجي تاخر كثيرا، صعدت الى الطابق الثاني لكي انظر من الشباك، سوسن ويوسف بقيا ينتظران، اقتربت من الشباك ونظرت من خلاله بعد ازاحة الستارة قليلا كان هناك رجل ممدد على الارض في الشارع صرخت بصوت عال ونزلت اركض بسرعة، فتحت الباب وخرجت مسرعةً الى الشارع، ركضا خلفي وسن ويوسف وهما يصرخان، عندما

خرجنا الى الشارع، رأينا محمود ممددا على الارض وملابسه ملطخة بالدماء، أخذت اصرخ وانادي:

- محمود..؟ محمود..؟

ومحمود لا يرد.

آآآآآه يا أمى،

ليتك تعلمين كم أفتقدك،

أفتقد حبك وحنانك.....

صدرك الدافئ،

كم كنتُ ألوذ بهِ،

كلما طاردتنى الهموم والأحزان

أحتاج لأمي دائما

النهايات حالها حال البدايات، أحياناً تأتي فجأة دونما تخطيط مسبق.. والأحلام الحقيقية لا أحد يعرف متى تتحقق وكيف؟.

تزوجت، كما تحلم كل النساء بأن يتزوجن، كان من أقارب خالتي، خالتي الطيبة الحنون التي دائما تقول لي: اعتبريني أمك.

الخالة أم كما يقولون، لكني اتساءل الآن هل حقا هناك من يعوض الأم ويقوم مقامها؟.. بالنسبة للبنت، الأم لا يمكن ان يعوضها احد،.. كنت أحتاج لامي دائما، حتى بعد ان كبرت وتزوجت لا زلت بحاجة اليها، بمن استعيض عنها اذا ما احتجت الى نصيحة، من يقومني اذا أخطأت؟.. من يخطط مستقبلي ويحميني من نوايا الاشرار سواها؟.. منذ ان ماتت أمي وانا افتقدها، لم انسها يوماً، كنت طفلة صغيرة عندما ضمتني الى صدرها وقالت لابي: اوصيك بفاطمة هي أمانة لديك. ثم انقطع صوتها، زفير لم يتبعه شهيق ابداً.

أكملت تعليمي الجامعي في ظروف بيتية صعبة، زوجة أبي كانت غريبة المزاج، حادة الطباع، وانا حائرة بين مزاجها وطباعها، كنت اشعر بالغربة في بيت والدي، لا دفء ولا اهتمام، الايام متشابهة والليالي

طويلة، حتى خالتي لم تعد تزورنا الا نادرا، السعادة فارقتني منذ زمن بعيد، كنت انتظر اكمال الجامعة كي اعمل واستقل اقتصاديا، كنت اعول كثيرا على ذلك، غير ان الإحباط خيم علي بعد أن عجزت عن الحصول على وظيفة.

خلال دراستي الجامعية كنت اشعر اني املك هامش حرية خاصاً بي، كان لدي صديقات ووقت استمتع به خارج البيت معهن، الآن لا دراسة ولا وظيفة، عتمة تحول دون رؤيا مستقبلي.

أقنعتني خالتي بأن الزواج ستر للمرأة، أما الحب فيأتي لاحقا،... أنا خجولة ومنطوية على نفسي، حتى أن صديقتي هدى، كانت تقول لي دائما:

– انت خجولة جدا وطيبة، انت فعلا يتيمة

لم تكن هناك فترة خطوبة، لم تكن هناك خطوبة بمعناها العاطفي، هذه الفترة للمترفين، الفاشلين الذين لا يقدرون قيمة الوقت، هكذا يقول احسان. كان الزواج سريعا، أخذتني خالتي إلى بيتها، جاء إحسان لتناول الغداء، رأيته ورأني، بعد ذلك أكمل الإجراءات بكل سهولة وسرعة، خطوبة فعقد قران فزواج كلها خلال شهر واحد. يبدو أنني أعجبته. خالتي اختصرت القصة كاملة:

– انت تشبهين المرحومة امك، بيضاء، طويلة، عيناك واسعتان، عاقلة، وطيبة، كثيرون الذين يتمنون الزواج منك

لم يكن رأيي بالعريس مهما، فأنا لا ام لي، لتضع مطاليب ومستلزمات ضمان مستقبلي. كان إحسان غنيا فهو تاجر في الشورجة، يكبرني بعشر سنوات، بدين، واثق من نفسه، يضحك لاتفه الأسباب، ويتعصب بسرعة لكن خالتي لها رأي آخر:

- (كل العراقيين عصبيين، شنو الغريب بالموضوع!)

مرت السنة الأولى بسلام، إحسان مشغول بالسوق دائما، يأتي في نهاية النهار ليجد طعاما جاهزاً، ومكانا هادئا للنوم، يرتاح قليلا ثم يخرج مساء مع اصدقائه، ويعود منتصف الليل ضاحكا منتشيا مخموراً.

رزقت ببنت جميلة، ملأت عليَ حياتي، أحببتها وتعلقت بها جدا، هي حبيبتي وصديقتي، كانت تنسيني عصبية زوجي وكثرة انتقاده وتوبيخه لي لأتفه الاسباب.

بمرور الوقت، بدأ زوجي يكثر من تجاهلي وعدم الاهتمام بي، بل والاستهزاء بي وإهانتي، غير اني كنت مستمرة بسكوتي، كأنثى الكناري التي كانت في بيتنا، يضع لها أبي الماء والطعام في القفص، وينقل القفص كل يوم الى مكان جديد في البيت لعلها تغرد، حتى ولو مرة واحدة، لكنها استمرت صامتة لا تنطق، الى ان ضجر أبي ففتح باب القفص وتركها تطير.

لم تكن لي الجرأة بمعاتبته أو مناقشته أو الرد عليه، لم أتعود على الاعتراض أو المطالبة بالاحترام والحقوق، كنت أخاف واتردد واسكت.

بمرور الوقت بدأ يضربني، يتجاوز عليّ ويسمعني كلاما قاسياً، يتعمد إهانتي وإذلالي، لكنه كان يصالحني عندما يحتاجني دون إعتراض مني، حتى أنه لا يعتذر لي. أمس عندما عاد من العمل ضربني وأهانني بشكل غير مسبوق، بدا وكأنه يلاكم رجلا أمامه، أو ينتقم من تاجر منافس له، بوكسات وضغط على الرقبة باليدين، صفعات على الوجه، ركلات بالرجلين، وكالعادة لأسباب تافهة.

في هذه المرة لم أعد أحتمل، أحسست باهانة وذل كبيرين، أردت الثأر لكرامتي المهدورة، تجاوزت خجلي وسكوتي، خرجت من البيت وانا في حالة شديدة من الغضب والحنق، كنت اتمنى الموت على ان استمر وسط هذا الذل كرهت زوجي كرهت حتى نفسي، ذهبت إلى المستشفى واستصدرت تقريرا طبيا بعد أن فحصني الطبيب، ثبت فيه آثار الضرب على جسمي ورقبتي والدماء والخدوش في وجهي، والخطوط الزرقاء على ظهري وصدري.

استلمت التقرير الطبي، واتجهت إلى مركز الشرطة، كنت مستاءة جدا، كيف صبرت سنتين مع هذا الوحش، كيف لي أن أبقى ضعيفة خانعة والاهانات والضرب ينهشان كرامتي قبل جسدي.....علي وضع حدٍ لتجاوزاته وظلمه، يجب أن أكون قوية محترمة، أنا حاصلة على بكالوريوس آداب وهو لم يرى من الجامعة سوى اسمها.

وصلت مركز الشرطة، سأقول لضابط الشرطة كل شيء، كيف يضربني ويشتمني. يرميني على الأرض.... يرفسني بقدميه أمام إبنتي

وهي تصرخ مذعورة، يبصق بوجهي ويسب والدتي. ساطالب بحبسه وإهانته كما يهينني، ليتهم يضربونه كما يضربني. يا ترى هل يفعلون ذلك؟، أم سيدفع لهم ما يسكتهم.

ستصل الأخبار والدي، ستعرف خالتي، هي التي كانت تردد ان الزواج ستر للمرأة، وستعرف صديقاتي أن زوجي يضربني ويهينني.

كيف سأدخل مركز الشرطة، وكيف سأتكلم مع الضابط، انا لم أتعود ذلك، ثم كيف سيكون رد فعل زوجي، هل سيأخذ ابنتي مني؟ هل سيحرمني منها؟، ماذا لو أخذها مني، كيف ستعيش، هل ستعيش مع زوجة أبيها، يا إلهي، يا إلهي.

غيرت وجهتي، عدت مسرعة إلى البيت، أخذت ابنتي بحضني، ضممتها وقبلتها، أنهمرت الدموع من عيني بغزارة، انشج بصوت مسموع!.

مهاجر من وطني   يحملني الرحيل

يقض احلامي   بقايا ليلنا الطويل

اهرب كالطريد من   حدود المستحيل

ابحث عن خريطة   دافئة عن وطن بديل

ماجد امين

الهروب

إستيقظ مبكرا ذلك اليوم، لقد إتخذ قرارا مهماً، سيكون حاسما في تنظيم مستقبله، أصبح مقتنعا إن الحياة لا تستقيم بدون تضحية كبيرة فحياته أصبحت بحاجة ماسة الى التغيير.

واي تغيير؟... ذلك التغيير الذي سيجعله أما أن يصل الى مبتغاه ويحقق أحلامه، أو إنه سيسحق كما يسحق الصرصار، انه لمنعطف حاد في مسيرة حياته.

مضى زمن طويل، عندما حمل حقيبته الصغيرة وركب الباص العمومي، إختلس نظرة بإتجاه نافذة في البيت المرمي على اطراف تلك المدينة البعيدة، حيث امه تودعه بدموعها ودعواتها له بالتوفيق والنجاح والمستقبل السعيد.

كانت الدنيا حينها لا تسعه، فقد ظهر إسمه في قائمة المقبولين للدراسة في كلية الهندسة في جامعة الموصل، أية سعادة تلك التي غمرته يومها، أي شعور بالفخر والعنفوان ملأه، سيعيش سنوات اربعاً في مدينة كبيرة وجميلة تعج بالحياة، وسيحيا مرحلة جامعية سعيدة مع زملاء وزميلات من كل مدن العراق وقراه، وسيتخرج في نهايتها

مهندسا طموحا ناجحاً وسيحقق أحلام أمه في بيت جميل، هادئ وابنٍ تفخر به وتمضي بقية حياتها هانئة سعيدة به وبأولاده.

دخل الحمام وإغتسل بماء بارد، شعر أنه بحاجة الى شئ يستفزه وان عضلات جسمه بحاجة الى اليقظة والتحفز. منذ الآن، على جسده ان يتحمل العمل المستمر والنشاط، فلم يعد يجدي النوم الى الظهيرة والسهر الى تباشير الفجر. هزَ رأسه بقوة متأسفا على السنوات الثلاث كيف أمضاها في سهر مستمر في عالم افتراضي بانتظار (من لا يأتي)، من الذي خدعه؟ من قال له ان هناك املاً بأن الحياة ستستقر وسيجد طريقه الى السعادة دون تضحية؟

منذ المحاضرة الاولى له في الكلية، وشئ ما هزَ كيانه، شعور جديد لم يألفه بدأ يدغدغ مشاعره تجاه تلك الفتاة البيضاء الممتلئة التي جلست جنبه، لم يغب عن أية محاضرة طيلة فترة دراسته في الجامعة، أحب الدراسة وازداد تعلقه بها منذ ذلك اليوم.

يبدو ان تلك الفتاة انتابها نفس الشعور، فنادراً ما تأخرت يوماً عن سؤاله عن مسألة في اختصاصهما، لاحقا اصبحا يذاكران في المكتبة سويةً، تَخَرَّج من الجامعة وهو يحمل عهداً لزميلته بان يتزوجا بمجرد ان يحصل على وظيفة له.

حلق ذقنه، غيَر ملابسه، تناول فطوره الذي أعدته والدته وهي فرحة، يا ترى أين سيذهب ولدي؟ هل وجد عملاً؟ لماذا يسافر

الى الموصل الآن؟ أفكار شتى مرت بذهنها. خرج مسرعا حاملا حقيبة السفر إياها، تلك التي حملها قبل سبع سنوات عندما ذهب الى الجامعة.

كل شئ مختلف هذا اليوم، الشمس مشرقة والهواء منعش، لأول مرة يكتشف روعة وجمال شجرة التوت في مدخل دارهم، الطيور تقف على أغصانها وزقزقاتها تملأ المكان، لا يذكر انه رأى البلبل الذي بنى عشه في كرمة دارهم من قبل، كان يغرد بسعادة غامرة عندما رأه يخرج من الدار.

ذهبوا الى مصايف اربيل في السفرة الترفيهية التي اقيمت خلال سنته الثانية في الجامعة، جلست منى جنبه في الباص، لقد عاش يومها سعادة لا توصف، الحياة ممتعة والشباب والمرح والضحك يعم الجميع، منال الطالبة المصلاوية غنت:

يردلي يردلي سمرة قتلتيني

خافي من رب السما وحدي لا تخليني

وغنى ورقص كل من في الباص طلاباً وطالبات

آه على تلك الايام.....

علي البصراوي، الاسمر، الطويل، رقص رقصا رشيقا مع الصفقة البصراوية واغنية ربيعة

هي وهاي وهيه هي وهاي وهو

اليوم اجانا الزين يا هلي حيو

سلم برمشه وفات وعيونه تسبي

ومن الصغر لليوم ساكن بكلبي

كل اللي اتمناه

اكعد سويعه وياه

لو طاح بيديه

فعلا كانت ساعات سعيدة لا تنسى.

في تلك الرحلة وعند تناول العشاء في مطعم سيفين في شقلاوة قال لمنى كلاما ظل مخزونا في أعماقه، ينبض مع قلبه، ويعيش مع انفاسه:

– «يا منى انا شاب فقير، وحيد، ويتيم، أعيش مع والدتي في بيت ريفي صغير على أطراف قرية بعيدة، والدتي تحرث وتزرع أرضنا الريفية الصغيرة، وتخبز للجيران، وبالكاد تجمع مصروفي في الجامعة، والدي تركنا وانا طفل صغير عمره شهران وعشرة ايام، بكت والدتي وهو يودعنا، ترجته ان لا يتأخر عليها، وعدها بان يعود في موعد إجازته الإعتيادية، لكنه لم يعد أبدا.

– والدتي يا منى هي كل ما أملك في هذه الحياة لا اعرف إنساناً آخر غيرها، تخلت عن كل شئ من أجلي. بيتنا صغير وبارد يا منى، بوجودك مع امي سيكون دافئا.»

تذكر نصيحة والدته: «كن خفيف النفس، ولا تكن خفيف العقل، كن ثقيل الخلق، لا ثقيل الدم». ولطالما أعجبه الاشخاص الذين سلاحهم العقل وليس اللسان وردودهم الصمت لا كثرة الكلام، هكذا هي الحياة كما يفهمها.

المسافة الى الموصل طويلة، والوصول اليها يستغرق عدة ساعات، فضَّل أن يقضي الوقت بالقراءة، والكتاب صديقه منذ زمن بعيد فمن غيره يسلي ويواسي؟ من غيره يعطي دون مقابل؟ من غيره يعطي الفقير كما الغني؟ لا يجامل ولا ينافق، لا ينحاز ولا يميل.

بعد اسبوعين من عودتهم من السفرة الجامعية قالت له منى ان أبي يقول عندما يتخرج من الجامعة ويتوظف بوظيفة دائمية سنستقبله ووالدته في بيتنا.

تخرج من الكلية قبل ثلاث سنوات، أمضاها بالصبر والإنتظار والفقر والعوز، كره الحكومة والمسؤلين والسياسيين، فقد صبره ووصل الى مشارف اليأس، لم تعد لديه طاقة للانتظار، إسودت الحياة أمامه وخبا الأمل والحياة في نظره، لقد خاف ان يفقد حبيبته، خاصة انه شعر ان والد منى لم يعد يثق به، وربما سيزوج ابنته.

لكن تباشير الأمل عادت من جديد وسيحصل على الوظيفة قريبا جدا، هذا ما وعده به المسؤل الكبير في الدولة، قال له ساتوسط لك للحصول على الوظيفة وستحصل عليها، لكن لا شئ يتم بدون مقابل، يجب ان ندفع نقودا. لم يجد بعد ثلاث سنوات من الإنتظار والبطالة سوى أن يبيع أرضه التي تزرعها والدته ويعيشون من وارداها، فالوظيفة ستعوضهم والمستقبل سيكون مشرقا لهم.

عندما وصل الموصل، عزم على أن يذهب مباشرة الى بيت منى، سيقول لوالدها: عمي لقد اوفيت بعهدي سألتحق بالوظيفة خلال شهر واحد، سأبيع الأرض وأحصل على الوظيفة، جئت اطلب منك ان توافق على استقبالنا انا ووالدتي خلال شهر من الآن لخطبة ابنتك منى.

دق الجرس، ثم دق مرة اخرى

فتح الباب رجل خمسيني أشيب، إنه ليس والد منى، انه يعرف والدها، رأه مرات عدة.

- تفضل إبني

- عفوا عمي سامي موجود؟

- لا إبني هذا ليس بيت عمك سامي، انا اشتريت البيت منه

– اشتريت البيت؟ لماذا؟ هل تقصد إنهم انتقلوا الى بيت آخر؟ أين إنتقلوا؟

– نعم يا إبني، لكنهم إنتقلوا بعيدا، لقد هاجروا، تركوا العراق الى الأبد.

– ماذ تقول؟ ماذا تقصد؟ هذا غير معقول؟!

– يا إبني سأختصر لك، خُطِفَ إبنه منهل، ودفع كل ما يملك لفديته، وعندما ذهب الى مكان الإستلام وجده مقتولا. أخذ أبناءه الآخرين وزوجته وهرب، غادر العراق ولن يعود ابدا.

في لحظاتِ حزنٍ قاتمة...

لا تجد حولكَ من يواسيك

لا قريب... لا حبيب...لا صديق

الكل تخلى عنكـ...

تركوك وحيـداً

تركوك وحيداً

شعرك الابيض كندف الثلج.. وتجاعيد العمر التي غطت وجهك.. والخطوات الثقيلة التي احكمت سيرك، كل ذلك يوحي بأن العمر لن يدعك تعبر كل البوابات. فالعوائق كثيرة والصعوبات جمة، عليك ان تدرك ذلك.

ماذا يعني لك الحب الان؟

ماذا يعني لك الحب في غابة عرى اشجارها الخريف؟

أكل الصدأ عربات قطارك!.. وتركك في محطات مهجورة!

هل يقلقك المستقبل؟... هل طافت عليك أجنحة الرغبة وتملكك طائر الشوق؟

ماذا تعني لك تلك التي تفترش السرير القابع في غرفة نومك؟... هل تثير فيك زوابع الماضي والوان الرغبة الجامحة لايام خلت؟... هل تركتك تلك المرأة وحيدا تقضي ليلك ساهدا ونهارك هائما؟

هل تخلت عنك؟... ام انت الذي تخلى عنها؟

جلس على الكرسي قرب سريرها، أخذ ينظر إليها وهي نائمة، جسد نحيل متعب يتنفس بصعوبة، ماذا فعل بها المرض الخبيث؟ ماذا ترك لك منها؟ بعد لأي وهي تقاوم المرض، هدها ومزق جسدها، ذوى جمالها واختفت فتنتها، عيناها الواسعتان خبا بريقهما، وجنتاها البارزتان ذوتا وتجعدتا، نهداها النافران قضمهما المرض اللعين.

يقطب ما بين حاجبيه، يستذكر جسدها في قمة عنفوانه قبل مرضها، بض ممتلئ، يفيض نشاطا وحيوية، الضحكات والابتسامات ترتسم على وجهها المشرق بفرح غامر. سرح بعيدا الى الماضي، كان يقف على ناصية الشارع، ينتظر عودتها من المدرسة، عندما تقترب من مكان وقوفه يخفق قلبه بعنف، تثيره تسريحة شعرها الذهبي الطويل، وحمرة وجنتيها حياءً وارتباكا. ثم يعود من الماضي الى الجسد الواهن الراقد بانتظار الرحيل، ليغرق بهمومه وافكاره.

تزوج ولـداه، سكن كل منهما في مدينة وتركاه يعاني الحيرة والضياع، ثم جاء زواج ابنته وسفرها ليزيد من معاناة الوحدة والحياة القاسية. هل هناك اقسى من حياة يغادرها الابناء ويُغيِّب المرض اقرب الاحبة الى القلب؟

سنوات طويلة وهي ترقد هكذا دون امل. من يؤنس لياليه الطوال؟.. من يطفئ كوابيس الرغبة في جسده؟.. من يزيح ستائر الهم التي تكتم انفاسه؟

عادة ما يولي ظهره لماضيه البعيد وافكاره المشوشة ويذهب الى السوق الشعبي القريب، وكلما ذهب للتسوق صادف ذلك الجسد الشهي والارداف الممتلئه، وجه اسمر مستدير، صوت ريفي ناعم بغنة انثوية محببة.

كل يوم، يذهب مبكرا الى السوق الشعبي القريب من دارهم، اصبح ذلك أهم عملٍ يحرص على ان يقوم به يوميا، ليس لانه يحب تناول الريحان مع الغداء، وليس لان الطبيب نصحه بتناول المعدنوس ليساعد على تنظف الكليتين والتخلص من حامض اليوريك الذي يسبب له داء الملوك والام المفاصل، وليس لان تناول الكرفس يحافظ على نسبة الحديد في دمه، لكن، قبل ذلك كله، ليرى تلك الفلاحة السمراء التي أصبحت تشغل فكره كثيرا. كل يوم يشتري منها الخضراوات، وبالتالي وجد ما يجعله يستمر برؤية تلك المرأة التي أخذ يشعر بحركة الدم في عروقه بسببها. هي ايضا تعودت عليه، أصبحت تنقي له ما يشتريه، بل أخذت تضع حصته اليومية في مكان خاص، بإنتظار مجيئه.

الرجل مهما كبر في العمر يبقى بحاجة للحب والألفة، بحاجة لإمرأة تشاركه الحياة، فالسنون لا تطفيء جذوة الحاجة الى الانثى.

عندما يذهب الى السوق، وبمجرد ان يصل الى مكان جلوس بدرية، تبدأ النسوة اللائي يبعن الخضراوات يتغامزن، فجميعهن يعرفن ميله نحوها، فهو لا يشتري الا منها، ويطيل الوقوف معها، ويبحث عن اَي

موضوع ليوجه لها الأسئلة ويفتح حديثاً معها، هي أيضا تعرف انه يهتم بها، عندما تغيب عن السوق يسأل الأخريات عنها ويتفقد أخبارها، هو يعرف انها امرأة ارملة، قتل زوجها في انفجار ارهابي في ساحة تجمع الفقراء الباحثين عن عمل قبل ثلاث سنوات، وهي التي تعيل ولدها وابنتها، تبيع الخضورات في الصباح من اجل اعالتهم، اما بعد الظهر فتخبز في بيتها لمن يطلب منها خبزاً.

نهض منذ الصباح الباكر كعادته، جال بنظره الى السرير في زاوية الغرفة فوجده صامت دون حركة، كعادته كل يوم، اعتقد ان زوجته الممددة عليه تغط في نوم عميق تحت تاثير المنوم الذي تتناوله كل ليلة.

ذهب الى الحمام اغتسل وصلى الفجر ثم جلس في الصالون ينتظر طلوع النهار كي يذهب الى السوق كعادته كل صباح، قرر ان يسترسل في الحديث مع بدرية هذه المرة بأمور مهمة، سيقول لها بشكل واضح، انه يحتاج موافقتها لكي يتقدم لخطبتها، سيخبرها ان اولاده تزوجوا جميعا وتركوا البيت وهاجروا بعيدا، وانه يعيش مع زوجة مريضة لا أمل في شفائها منذ ثلاث سنوات، سيبث لها الحرمان والوحدة والليالي الطوال، سيخبرها بأنه يحتاج أمرأة تملأ بيته دفئا وحناناً، تتبادل الحديث معه وتشعره بأنه لا زال يعيش، يشتاق الى ضحكة طفل وقهقهة ابناء، يريد ان يرى احداً بحاجة الى نصيحته ومتابعته، سيقول لها انه

يحتاجها، ويحتاج من يساعده في رعاية زوجته المريضة والتخفيف من الامها، سيخبرها بانها كانت امرأة صالحة ووفية، شاركته تربية اولاده وتعليمهم، وقفت معه في اشد الظروف قسوة، ساعدته على تجاوز كل ازماته في الحياة، عاشت معه الحرمان والفقر وتنعمت معه الايام السعيدة المرفهة، حزنت معه وفرحت معه لكنها هي الحياة، لا تستقيم دائما، فالمرض اللعين كان لها بالمرصاد.

استيقظ من احلامه، ذهب الى المطبخ، عمل فطورا بسيطا لزوجته ووضع علاجها في الصينية مع قدح الماء. ذهب الى الغرفة ليطمئن على زوجته ويقدم لها العلاج مع الفطور، رفع الغطاء من على وجهها، فبدا شاحبا مكفهرا، نادى عليها، لم يسمع لها اي صوت، وضع يده على جبينها، إنها باردة كالثلج، لا اثر لشهيق او زفير، شعر ان ساقيه لا يستطيعان حمله، جلس جنبها على السرير نظر بعيدا عبر النافذه فنزلت دمعتان ساخنتان على وجنتيه.

فهرس

الاهداء 5

من يلبسني ثوب الفرح؟ 7

عبور البحر 15

لقاء الغرباء 21

كل شيء غريب 27

متى تعود؟ 53

غَيرتَ إتجاهك ونسيتني 41

عبق النارنج 47

الأيام العصيبة 53

أحتاج لأمي دائما 67

الهروب 73

تركوك وحيداً 81

رقم الإيداع: 23860 / 2018

الترقيم الدولي: 0 – 231 – 838 – 977 – 978

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد : 3925 لسنة 2018